السـنة الثالثـة / العـدد 61 / 17 آيـار 2017

sayı 61

الحرمل

Her Daim Özgürlük

الحريـــة دائمـــاً

WWW.ALHARMAL.COM

Alharmal Dergisi | Kültür - Siyasi - 15 günde bir | ★ ★ ★ | مجلة الحرمل / ثقافية ـ سياسية ـ نصف شهرية ـ مستقلة.

هل تغير الموقف الأمريكي؟

يجيء الكشف الأمريكي لمحرقة نظام الأسد التي أعدها لإعدامه ما يزيد على الخمسين سجيناً يومياً من سجناء صيدنايا بقصد إخفاء جثثهم، يجيء هذا في سياق الحملة الأمريكية المستمرة على هذا النظام. يمكن اعتبار ضرب مطار الشعيرات إنذارا وعملاً أولياً باتجاه إزاحة نظام الأسد من لعب أي دور في سورية المستقبل، ويمكن بالمقابل اعتبار لاءات البيت الأبيض حول السلام والاستقرار وإعادة الإعمار مدعومة من القناعة الأمريكية بما تم الكشف عنه الضربة السياسية التي سيبنى عليها الموقف الأمريكي النهائي من نظام دمشق المتوحش.

مما لا شك فيه أن في الكشف رسالة للروس، وتحذيراً لإيران، غير أننا تعودنا من البيت الأبيض نفساً طويلاً في معالجة مشاكل العالم، ولا يفوتنا التنويه الى أنهم غير مهتمين لما يقع من الضحايا في الفترات الأولى عند بدء أي صراع، لكنهم عند اتخاذهم القرار بتغيير نظام ما فإن العجلة تمشي سريعة. لاحظنا سابقاً أن حربهم مع العراق انتهت عام 91 وظل يخضع العراق للحصار حتى حرب إسقاط نظامه عام 2003 . أيضاً في يوغسلافية لم يتحرك الأمريكان من أجل محنة البوسنة والهرسك قبل مضي سنتين من بدء الصراع بدا فيهما الفشل الأوربي فاقعاً في إدارة الأزمة آنذاك.

تأتي هذه التحركات الأمريكية متزامنة مع الحرب ضد داعش. لا يفوت البيت الأبيض هنا أن أحد صانعي داعش النظام السوري ولذا فإن القضاء على داعش يعني بالضرورة القضاء على نظام الأسد، ومثلما تتقلص داعش في العراق وسوريا فإن نظام القتل يتقلص سياسياً بداية من توصيف رأسه بالحيوان، والخروج عن لياقة التعبير الدبلوماسي، وليس انتهاء بالكشف عن محرقة سجن صيدنايا سيء الذكر. كما أنه ليس لدى الأمريكان ما يمنع من توفير خروج آمن للأسد مع عشرين من حلقته الضيقة، وليس من مانع كذلك من استضافة روسيا لهم مع توفير الضمانات اللازمة بعدم ملاحقتهم قانونياً.

بالنسبة لسياسة التطهير العرقي القائمة في محيط دمشق فهي تنفيذ لرغبة إيرانية أكثر منها أسدية، ولذا فهي الأخرى تندرج في باب الوهم بالسيطرة على دمشق من أجل استمرار السيطرة على لبنان. لن ينجح الأسد ومن ورائه إيران بنزع الجنسية عن فرد سوري واحد فما بالك بتجنيس المتوحشين القادمين من بعض دول الجوار وبلدان أخرى من حول العالم. الحلقة تضيق رغم استمرار الأزمة سنين أخرى.

رئيس التحرير
ماجد رشيد العويد

قصف جوي ومدفعي يطال الرقة ومحيطها

مئات الشهداء والجرحى وسط انعدام فرص النجاة للمدنيين العزل

الحرمل ـ خاص

وصل عدد الشهداء من المدنيين الذين ارتقوا إلى نحو 380 شخصاً خلال 45 يوماً في صورة مؤلمة تؤكد مضي قوات التحالف الدولي إلى الأمام لاستعادة مدينة الرقة من أيدي تنظيم داعش، مستعينة بقوات سورية الديمقراطية، وهي تستخدم أبشع الأساليب في موقعة مؤلمة يدفع فيها مدنيو الرقة حياتهم ثمناً لها.

الموت الذي حصد أبناء الرقة الأبرياء لم يوفر صغيراً ولا كبيراً، ولا امرأة ولا شيخاً، وجاء بواسطة طائرات التحالف التي تضرب يميناً وشمالاً دون أن تراعي المدنيين العزل، ولم تترك لهم أي خيار آمن للخروج من أتون معاركها مع داعش، وأيضاً بواسطة مدفعية قوات قسد التي ضربت القرى شمال الرقة دون أن تترك أي فرصة هي الأخرى لأهالي هذه القرى للخروج من قراهم باتجاه القرى الأكثر آمناً.

وفي تفاصيل الأحداث

استطاع عدد من الناشطين توثيق استشهاد أكثر من 380 شخصاً من المدنيين في عموم محافظة الرقة خلال 45 يوماً مضت بدءاً من 2017/3/15 إلى تاريخ 2017/5/10 مع انعدام الإمكانية في الحصول على أسماء الشهداء الذين ارتقوا نتيجة المجزرة الوحشية التي ارتكبها طيران التحالف الدولي في مدرسة البادية ببلدة المنصورة، والذي يقدر عددهم بنحو 250 شخصاً، معظمهم من النازحين من قرى ريف حلب الشرقي، وسط تردد أنباء عن انعدام فرص النجاة لعشرات الجرحى الذين سقطوا نتيجة الغارات الجوية والألغام الأرضية والقصف المدفعي لقوات سورية الديمقراطية لقرى ريف الرقة الشمالي.

وبدءاً من اليوم الأول من شهر أيار الجاري وثق الناشطون استشهاد سبعة أشخاص من عائلة حجي الخلف في قرية خنيز السلمان شمال الرقة جرّاء انفجار لغم أرضي، وفي اليوم الذي تلاه انفجر لغم أرضي زرعة تنظيم داعش داخل أحد المنازل في قرية الكالطة شمال الرقة ما أدى لاستشهاد شخص.

وفي اليوم الثالث من أيار ووسط هطول أمطار غزيرة على مدينة الرقة، تابع طيران التحالف قصفه لمدينة الرقة في يومين متتاليين واستهدف مركز انطلاق البولمانات القديم جنوب مركز المدينة، وفي الخامس من أيار تم توثيق استشهاد طفل بشظية بالقرب من قرية رقة سمرة، نتيجة استهداف تركس كان يقوم بإنشاء سواتر ترابية على أطراف نهر البليخ.

ثم توالى قصف طائرات التحالف الدولي لمدينة الرقة خلال ثلاثة أيام متواصلة، استهدف خلالها محيط جامع الشهداء وجنوب الرقة، وعدد من المناطق الأخرى شمال الرقة.

في العاشر من أيار ارتكب طيران التحالف الدولي مجزرة بحق المدنيين راح ضحيتها 12 شهيداً إثر استهدافه منزل خلف الحمو في قرية الصالحية في ريف الرقة الشمالي.

في الحادي عشر من أيار الجاري تم توثيق استشهاد ثلاثة أشخاص في قرية حمرة بلاسم شرق الرقة، وارتقاء عائلة بالقرب من منطقة معمل الغاز شمال الرقة جرّاء غارات جوية طالت إحداها منطقة الجسر القديم «جسر المنصور».

وفي اليوم الثاني عشر من أيار الحالي تواردت أنباء عن سيطرة قوات سورية الديمقراطية على مزرعة ميسلون بالكامل، وسط أنباء عن قصف مدفعي لقوات قسد على مزرعة الأسدية، أدى لاستشهاد سبعة أشخاص، وأسفر عن نزوح معظم أهالي المزرعة باتجاه المناطق الأكثر أمناً.

في الثالث عشر من أيار طال القصف

قصف التحالف على مدينة الطبقة / إنترنت

المدفعي لقوات قسد قرى مزرعة يعرب ما أدى لاستشهاد ستة اشخاص، وقصف جوي لطائرات التحالف مصحوباً بقصف مدفعي لقرى شنينة ومزرعة تشرين، ما أسفر عن استشهاد سبعة اشخاص وإصابة أكثر من 50 شخصاً إصابة معظمهم خطرة، وسط تردد أنباء عن انعدام أي فرصة للنجاة نتيجة ندرة الدواء وقلة المسعفين، وخروج المشافي عن الخدمة، بالتزامن مع ورود أنباء عن وجود أكثر من 20 عائلة من النازحين عالقين في مناطق الاشتباك بين قوات داعش وقسد بالقرب من مزرعة الجلاء في ريف الرقة الشمالي، ووسط هذه الدماء الغزيرة ترددت أنباء عن قيام عناصر داعش بإعدام أحد المواطنين بمنطقة دوار الساعة (الجلاء) وسط مدينة الرقة، وإعدام آخر في منطقة دوار البتاني (البرازي)، وأنباء أخرى تؤكد قصف طائرات التحالف الدولي لمحيط الفرقة 17 شمال الرقة، ومتابعة قصف مزرعة الأسدية، وأيضاً تفجير داعش لمفخخة استهدفت قوات قسد في محيط مزرعة اليرموك، ثم توالى القصف المدفعي لقوات قسد في اليوم التالي استهدف خلاله مزرعة الأسدية ما أسفر عن استشهاد 12 شخصاً من المدنيين.

في الخامس عشر من أيار بلّغ تنظيم داعش أهالي منطقة سهلة البنات بوجوب إخلاء المنطقة، فيما توالى القصف المدفعي والجوي، حيث ترددت أنباء عن استشهاد عدد من النازحين في مخيم شنينة جراء استهدافه بغارة جوية لطائرات التحالف الدولي، وأنباء عن تفجير عبوة زرعها تنظيم داعش بالقرب من مزرعة ميسلون، فيما تابع تنظيم داعش قتله للمدنيين العزل، حيث قام عناصره بإعدام شخص من مدينة دير الزور في منطقة دوار النعيم وسط مدينة الرقة بتهمة التعامل مع قوات التحالف الدولي، وإعدام آخر بالقرب من مفرق الجزرة بتهمة غير معروفة، وبلغ هذا اليوم ذروته دموياً حيث ارتكب طيران التحالف مجزرة وحشية أدت لارتقاء 22 مواطناً وإصابة العشرات جراء استهداف قرية العكيرشي في ريف الرقة الشرقي، وانتهى بمجزرة أخرى في منطقة المارودة شمال شرق الرقة أسفرت عن استشهاد أربعة أشخاص. فيما ترددت أنباء عن تدفق كبير للمياه باتجاه مدينة الرقة، غمرت معظم الأحياء الغربية والشمالية الغربية، نتيجة تدمير سواقي الصرف الزراعي إثر قصفها من الجو بواسطة طائرات التحالف الدولي.

رحى الحرب تطحن أهل الرقة بصور مأساوية، ودموية لا تستثني لا صغيراً ولا كبيراً، وتغريبة مؤلمة يعيشها أهلنا في الرقة، وسط غياب لأي ملمح إنساني في حمايتهم وتأمين طرق آمنة للنجاة بأنفسهم من هذا الأتون المشتعل الذي لا يبقي ولا يذر.

الرقة وتحولاتها.. مجتمعاً وسياسة وإدارة آتية

تقرير خاص ـ عين المدينة

في السنوات الست الأخيرة مرّت مدينة الرقة بمنعطفات حادة، وكانت مسرحاً لأحداث كبرى تمثل أبرزها بالتعاقب السريع أو بالانتقال من سلطة إلى أخرى؛ نظام بشار الأسد، فالجيش الحر، فتنظيم داعش، وها هي توشك اليوم أن تنتقل إلى سلطة جديدة. تحاول «عين المدينة» هنا أن تعرض مواقف مجموعات وشخصيات عامة إزاء ما يجري من أحداث، وقبل ذلك تعود إلى الجذور والروافد المؤسسة للرقة كمدينة ومجتمع، ما قد يساهم في صياغة فهم أوسع لها.

النشأة والمجتمع

قرب مخفر عثماني، في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، عمّرت النواة الأولى لمدينة الرقة في تشكلها الحديث من بضعة بيوت لعائلات تنتمي إلى عشائر عربية قريبة من المدينة أو ملاصقة لها (فرع العفادلة من قبيلة البوشعبان)، أو بعيدة عنها (مثل العكيدات والبوبدران) وكذلك (الكلّعيين). ثم -بعد عقدين وثلاثة- جاءت عائلات تتحدر من عشائر عربية أخرى (بوسرايا، دليم، جبور، طي وغيرها). وسريعاً، في مطلع القرن الماضي، توسع طيف القادمين إلى شركس وتركمان وأكراد، ثم أرمن هاربين من الحرب في السنوات الأخيرة من عمر الدولة العثمانية. لم ينقطع تيار المهاجرين إلى الرقة بعد ذلك بل استمر بدوافع مختلفة؛ تجاراً مثل الوافدين من السخنة في عشرينات وثلاثينات القرن الماضي، أو موظفين في الدوائر الحكومية التي أنشأتها سلطة الانتداب الفرنسي مثل بعض الوافدين من مدينة دير الزور، أو فلاحين لدى العائلات الإقطاعية والمشيخية العشائرية المالكة للأرض على أطراف الرقة وجوارها مثل بعض الوافدين من قرية السفيرة بريف حلب. تجددت موجات الهجرة إلى الرقة في العقود اللاحقة، للسخانة مرة أخرى أواخر الأربعينات، ولمئات العائلات القادمة من تادف والباب والسفيرة في الخمسينات والستينات. وفرضت سوق العمل التي أحدثها سد الفرات موجة أخرى من المهاجرين أشد تنوعاً في العقدين اللاحقين.

شكل مجموع هؤلاء، بطبقاتهم الزمنية المختلفة، مجتمعاً شديد الانفتاح والتسامح واحتضان الغريب، تميزت به مدينة الرقة التي مرّ فيها، إلى جانب تلك الكتل المستوطنة، أفراد أسهموا في تاريخ سورية، مثل سلمان المرشد مؤسس الطائفة المرشدية المنشقة عن العلويين، إبان نفيه في العشرينات، وأديب الشيشكلي (الرئيس السوري اللاحق) الذي التجأ إلى الرقة قبل أن ينضم إلى ثورة رمضان باشا شلاش حين كان ضابطاً برتبة صغيرة، وخالد بكداش، الزعيم التاريخي للحزب الشيوعي السوري، الذي نفي الى الرقة في السنوات الأخيرة من الانتداب الفرنسي. وعلى هامش هؤلاء ولد في الرقة، لأسرة قادمة من تادف، النقيب إبراهيم اليوسف، أحد أبرز وجوه تنظيم الطليعة المقاتلة للإخوان المسلمين.

إلى الآن نجد من يتحدث بلهجات سورية مختلفة ويعرّف نفسه ويعرّفه الآخرون على أنه من الرقة. قد يكون هذا الخليط السكاني، القائم على أسس انتماء راسخة لمحل واحد، قد لعب دوره في تشكيل الطابع الخاص لحراك مدينة الرقة المنتفض على النظام، من ناحية الولادة الباكرة ثم الكمون قليلاً ثم التحرير، في آذار 2013، كأول مركز محافظة سورية يخرج عن سيطرة النظام، وما تبع التحرير من إقبال هائل على الانخراط في هيئات وأجسام مدنية شبه منظمة، لم تترك لها داعش فرصة كافية للنمو.

الحياة السياسية

جلب أبناء العائلات الثرية الدارسون في مدينة حلب، خلال أربعينات القرن الماضي، أول المظاهر السياسية إلى الرقة، ليعرف آنذاك شيوعيون شبان من عائلات (العجيلي والفواز والبجري والشعيب) وغيرها. وفي العقد التالي ظهر بعثيون وإخوان مسلمون وحتى سوريون قوميون. وشاغب على الجميع، قبل أن يلغيهم في سنوات الوحدة مع مصر، ناصريون وناصرية، صارت بعد الانفصال حالة معزولة ومنفردة بأشخاص، ليظل الحزبان الشيوعي والبعث (بنسختيه القيادة القومية و23 شباط) الأنشط والأوسع تأثيراً خلال عقد الستينات. حينها كانت الأحزاب والانتماءات السياسية شأناً جاداً، وكانت الرقة تنقل خطاها الأولى نحو الحداثة، تعضدها في ذلك تركيبة سكانية متنوعة ومنفتحة ومستقبل اقتصادي واعد، خاصة بحاملة الزراعي، وبدا أن الريف العشائري قابل للانقياد وراء المدينة. لكن انقلاب حافظ الأسد وتوليه السلطة غيّر المآلات المحتملة كلها، فسرعان ما لوحق البعثيون الأشد مبدئية، ثم، ومع انقسام الحزب الشيوعي بتأثير من الأسد، إلى جناحي بكداش والمكتب السياسي، لوحق «المكتبيون» واضطهدوا وزج بهم في المعتقلات ابتداء من أول العام 1980. في عهد حافظ الأسد نشأ

بعث آخر منقطع تقريباً مع سلفه الذي تميز بالمثاليات والبراءة حد السذاجة في حالات، بعث بطبيعة وأداء مختلفين، انتقلت فيه الحزبية من المدينة إلى الأرياف ليفتح الباب على مصراعيه أمام آلاف ثم عشرات الآلاف فيهم كثير من «الجهلة والانتهازيين والنكرات» وفق وصف عصبي لبعثي سابق، ليصيروا مسؤولين في الحزب والدولة وقادة للمجتمع كذلك. وبالفعل ريّف حافظ الأسد بعثه في الرقة –وفي محافظات أخرى- بأقل أبناء الريف كفاءة و«أصالة». ويؤيد النظر إلى منابت أمناء فرع البعث في محافظة الرقة منذ العام 1970 هذا الرأي، إذ يغيب أبناء المدينة تماماً عن قائمة 4 أمناء في عهد الابن بشار، ويغيبون أيضاً عنها في عهد حافظ الأسد، خلا واحد عزل بتهمة موالاة رفعت الأسد.

من التصوف إلى نبذ البدع إلى الجهاد.. وتشيع

لم يشكل الإخوان المسلمون ظاهرة مؤثرة بأي جانب سياسي أو ديني، وظل مجتمع الرقة على صورة تدينه الشعبي البسيط، مبتعداً عن الالتزام ببعض المظاهر والتعاليم الإسلامية الفردية والعامة. ولم تؤثر الكتلة ذات الأصل البابي والتادفي، ثم الحلبي الأكثر التزاماً، في المشهد، رغم أنها قدمت الجيلين الأول والثاني من رجال الدين في مدينة الرقة، مثل الشيوخ محمد رشيد خوجة ومحمد عجان الحديد وأحمد إبراهيم وعمر دربوك وغيرهم، وقد مثلوا التيار الصوفي الأشد اهتماماً بالعلوم الدينية من سابقه التقليدي على صورة «السيّاد» والدراويش. ربما جاء التأثير عبر طلاب أولئك الشيوخ من أبناء الرقة، فضلاً عن التأثيرات الأعمق والأوسع التي تعرض لها المجتمع السوري كله خلال عقود حكم حافظ الأسد الثلاثة، لتزداد، على سبيل المثال، في العقد الأخير من حكمه، أعداد المحجبات والمصلين في الجوامع وطلاب العلم الشرعي في دمشق، تزامناً مع المنخرطين الأصغر سناً في معاهد الأسد لتحفيظ القرآن. كان كل شيء على ما يرام بالنسبة للنظام وتحت الأعين والسيطرة. وفي هذا العقد الهانئ للأسد الأب جرى في الرقة استيعاب أول الحالات السلفية وفق نموذجها الدعوي، وقد مثلها الشيخ سالم الحلو مدرّس التربية الإسلامية العائد من الخليج، ثم الشيخان عبد الله العساف وإسماعيل الكجوان. كان الثلاثة من الرقة وقراها أصلاً، وأخذوا على عاتقهم محاولة إطلاق دعوة سلفية علمية «تحارب البدع وتصحح عقائد المسلمين»، وتحرص على التأكيد دوماً أن الخروج على ولي الأمر إثم شرعي ومخالفة دينية كبرى لأنه يفتح باب الفتن. يقدّر شاب سلفي عاصر الشيوخ عدد المتأثرين بهم بأقل من مائة في مدينة الرقة كلها، خرج عشرات منهم إلى العراق إبان الغزو الأميركي له، ففقدت آثار بعضهم هناك وتعرض العائدون لمضايقات أمنية مختلفة؛ اعتقالاً في سجن صيدنايا بأوقات متفاوتة، أو استدعاءات متكررة للرقابة مع طلب العمل لصالح أجهزة أمن النظام.

ابتداءً من عهد بشار أضيف إلى أسباب نقمة أهل الرقة على نظام الأسد سبب جديد، تجسد بالتسهيلات المفرطة التي أتاحها لحركة التشيع التي تقودها إيران وترعاها. اغتصبت هذه الحركة مزاراً تاريخياً يضم قبوراً ثلاثة يعتقد أهل الرقة أنها تعود للصحابي عمار بن ياسر والتابعي الشهير أويس القرني ولكاتب وحي النبي (ص) أبيّ بن كعب. تحول المزار البسيط إلى صرح فخم على صورة العمارة الفارسية للمراقد المقدسة لدى الشيعة، ونشطت فيه حوزة تمكنت من اجتذاب عشرات الانتهازيين الذين رأوا في التشيع سلّم صعود سريع وسالك بعدما ازدحم طريق البعث، إلى جانب حمقى ومعدمين وقلة من المنتقلين إلى المذهب الشيعيّ عن إيمان صادق، وفق ما يستذكر أبناء الرقة ظاهرة التشيع التي ظلت هامشية رغم ما بذلت إيران فيها من جهد وأموال طائلة. ولكن رغم هامشيتها وتضاؤل احتمال ان تهدد عقيدة الأغلبية السنية، كان لمشاهد الزوار القادمين أفواجاً من إيران والعراق ولبنان وقع مؤلم على عامة السكان المغلوبين على أمرهم، وتحول لدى قلة قليلة منهم إلى ردة فعل وجدت متنفسها في المضي نحو السلفية بتياراتها المختلفة.

عندما اندلعت الثورة أخذ الشيوخ السلفيون وكبار طلابهم موقفاً متردداً، ونصح بعضهم بالإحجام عن المشاركة فيها متذرعين بـ«الخروج على ولي الأمر»، ثم لم يلبثوا أن انخرطوا بها هم أنفسهم حين تأكد أن الانتفاضة على النظام أعتى من أن يسحقها. بعد تحرير الرقة، ومع الزخم الذي دخلت به حركة أحرار الشام، انتسب جزء من سلفيي الرقة الأوائل إلى الحركة. ووجد جزء آخر طريقه إلى جبهة النصرة بعد ولادتها الثانية إثر إعلان «الدولة الإسلامية في العراق والشام» في نيسان 2013. والتحق جزء ثالث متردد بـ«الدولة» بعد سيطرتها على الرقة مطلع العام اللاحق، مأخوذين بمظاهر القوة والتمدد السريع التي بدت عليها.

يصعب الوقوف على مآلات الظاهرة السلفية في الرقة اليوم، لكن المصير المأساوي الذي لقيه الشيوخ المؤسسون الثلاثة قد يكون علامة واضحة؛ إذ يعيش الشيخ سالم الحلو مضطهداً على أيدي أمنيي داعش وشرعييها الذين لا يتوقفون عن اتهامه بالإرجاء، واعتقل الشيخ العساف وربما مات تحت التعذيب في سجون التنظيم، وقبلهما قضى الشيخ الكجوان بعملية اغتيال غامضة.

وفي وقت تقترب فيه صفحة داعش من الطي تتجه الأنظار الى اليوم التالي الذي تبدو قوات سوريا الديمقراطية الأوفر حظاً في احتلاله حتى الآن. وكما في مرات سابقة تحاول «قسد» توجيه رسائل جاذبة لأهل الرقة، لعل «مجلس الرقة المدني» الذي شكلته مؤخراً واحدة منها.

قسد ومجلسها المدني

قبل أسبوعين تقريباً أعلنت «قوات سوريا الديمقراطية»، المعروفة اختصاراً بـ«قسد»، عن مجلس الرقة المدني، وسمّت الشيخ محمود شواخ البورسان (زعيم عشيرة الولدة في الجزيرة) رئيساً مشتركاً له. لم تعلن قسد كل أسماء الأعضاء حتى الآن، خاصة العرب منهم. يقول عبد السلام حمسورك، عضو المجلس، لـ«عين المدينة»، إن مجلسهم «مؤقت، يدير شؤون المناطق المحررة خدمياً واجتماعياً وأمنياً»، وإنه أسس بالتوافق وبعد مداولات ومشاورات مع «العشائر والمكونات الاجتماعية والشخصيات المعروفة»، ويؤكد أنهم يتمتعون بصلاحيات كاملة، وحالما «تقوم القوات العسكرية بتحرير أي منطقة، فإنها تسلم إدارتها للمجلس». ينفي حمسورك، وهو العضو الكردي، وعضوان عربيان طلبا أن تغفل «عين المدينة» ذكر اسميهما، وجود أهداف سياسية للإدارة الذاتية أو لحزب الاتحاد الديمقراطي PYD من تأسيس المجلس. عضو رابع، طلب هو

الآخر إغفال اسمه، لمّح إلى حالة أمر واقع لا بد من التكيّف معها، وهذا ما فعله انطلاقاً من أسباب عملية دفعته، شخصياً على الأقل، حسب ما يقول، إلى المشاركة، على أمل أن يسهم من خلال المجلس في القيام بشيء نافع يخفف المعاناة التي يلاقيها أبناء الرقة المشردون في مخيمات النزوح.

حتى الآن لا يبدو أن النصاب العددي اللازم للمجلس قد اكتمل، رغم تشكيل (14) لجنة أو مكتباً يؤدي كل منها عملاً خاص. ويشكو أعضاؤه الذين تحدثت إليهم «عين المدينة» من قلة الموارد المالية للمباشرة بوظائفهم الإغاثية والخدمية التي اقتصرت حتى الآن على توزيع مساعدات غذائية قليلة ومتفرقة على النازحين الذين لم يسمعوا، ولم يسمع المقيمون في الرقة حتى الآن، بمجلسها المدني، وفق ما استنتجت المجلة من استقصاءاتها التي جاءت على شكل استطلاع رأي في أوساط النازحين (انظر الاستطلاع) وأسئلة متفرقة غير مباشرة طرحها عاملون في هذه الملف على عينة صغيرة من الناس (15 شخصاً) داخل مدينة الرقة.

على الطرف المقابل، كانت متابعة المنتمين إلى الشرائح الثورية أعلى من غيرها لشؤون «مجلس قسد» كما يسميه الشيخ محمد سعيد البورسان، الوجه العشائري المعارض للنظام. يقول البورسان إن هذا المجلس «فاقد للشرعية جملة وتفصيلاً، ولا أهمية تذكر لمزاعم مؤسسيه»، بل الخطورة في «النوايا الحقيقية لهم، وهي خلق فتنة عشائرية وعائلية تزيد الانقسام في مجتمع الرقة، وتضعفه كله»، ما يسهل على PYD تحقيق أهدافه السياسية المتمثلة في خدمة نظام الأسد اليوم وتقسيم سورية غداً، كما يقول. يوجه البورسان لابن عمه الأكبر سناً، الشيخ محمود، رئيس المجلس، رسالة حادة يأسف فيها للحال التي آل اليها، ويدعوه إلى الانسحاب فوراً من هذه «الورطة أو اللعبة احتراماً لموقعه الاجتماعي» المهدد اليوم بخسارته. ويرى البورسان في ترؤس قريبه لهذا المجلس عملاً فردياً لا تتحمل العشيرة مسؤوليته، «فهو يمثل نفسه فقط»، وكذلك أمر بقية الشيوخ والوجهاء العشائريين المنضمين الى المجلس. وينصح البورسان «شيخ الولدة محمود بأن يتذكر إرث أبيه وجده الناصع والرافض للظلم والطغيان».

أول الثورة اعتقل سعيد البورسان وتعرض للتعذيب وحطمت أسنانه في أقبية المخابرات العسكرية. وحين جاءت داعش سلبته ممتلكاته وفجرت منزله و«ديوانه». وهو يعيش اليوم في مخيم للاجئين في ولاية أورفا التركية، ولا يبالي -كما يقول- بأي مال أو عشيرة أمام الثورة التي يؤكد أن انتماءه إليها بات «عشيرته الحقيقية».

نبيل الفواز، وهو معارض سياسي اعتقل لـ15 عاماً في سجون الأسد الأب، يؤيد ما ذهب إليه البورسان حول «مجلس قسد» التي يراها «قوة احتلال ليس إلا، وكل ما يصدر عنها باطل كأنه لم يكن». وحسب الفواز لا يمت هذا المجلس بصلة لأهل الرقة، ولن يلقى حتماً أي حاضن شعبي. كان الفواز رئيساً لأول مجلس محلي لمدينة الرقة آخر العام 2012، قبل أن تتحرر, ومثل كثيرين من معارضي الرقة اضطر إلى النجاة بحياته هرباً من داعش بعد احتلالها المدينة. ولاحقاً، حين طردت من الريف الشمالي صيف 2015، كان ضمن من لبوا دعوة قائد لواء ثوار الرقة (أبو عيسى) ليعلنوا من هناك عن تأسيس المجلس المحلي لمحافظة الرقة، غير آبهين بتهديدات وإغراءات PYD. يرفض الفواز العودة إلى الرقة في حال سيطرت عليها «قسد»، ويعدّ كل من شارك ويشارك في ما ينبثق عنها «دمية» في يدها، تحركها كيف تشاء خدمة لأهدافها.

المحاميان والناشطان السياسيان أكرم الدادا وسعد شويش يرفضان «مجلس قسد» أيضاً لأنه «فاقد للشرعية بالمطلق» ولأنه «صنيعة قوة احتلال». ويميزان ثلاث فئات من أعضاء المجلس؛ «شبيحة وموالون للنظام»، ثم «انتهازيون وجدوا في هذا المجلس فرصة انتفاع»، وفئة ثالثة أجبرت على المشاركة تحت التهديد، وبعضها «سجنته قسد في أوقات سابقة وعذب وأهين في معتقلاتها» كما يقول الدادا وشويش.

منى فريج ناشطة معروفة من مدينة الرقة، كانت من أوائل المنخرطات في حراكها الثوري، تشكك، هي الأخرى، في شرعية المجلس الذي أعلنته «قسد» لأنه لم يؤسس بطريقة سليمة وإنما عيّن تعييناً، وتسأل عن «الجمهور الذي انتخب المجلس والمعايير التي تم على أساسها انتقاء أعضائه». وتعد الفريج الحضور النسائي في هذا المجلس شكلياً، لتعزيز صورته بأنه يراعي مشاركة النساء. كانت فريج أول امرأة في أول مجلس تشكل لمدينة الرقة، وهي ترى أن مشاركة النساء وتوليهن أدواراً قيادية في المجالس وغيرها يجب أن تناط بما تملكه المرأة من كفاءة وقدرات «لا بمجرد جنسها لنقول للعالم إن في مجلسنا نساء». تتنبأ فريج أن ينجح المجلس الذي أعلنته «قسد» في أداء بعض مهماته، لأنه مدعوم من القوة العسكرية التي تحكم الأرض وتملك الموارد، لكن شرعيته وأهداف تأسيسه الأخرى ستظل موضع تساؤل.

تقول فريج إنها ستعود إن خرجت داعش من الرقة، بغض النظر عن من يأتي بعدها، وستشارك في الأنشطة العامة في حال أتيحت للناس حرية المشاركة والانتخاب والترشح في الأجسام الإدارية المفترض تأسيسها بعد طرد داعش. وتؤكد أنها لن تخفي إيمانها بمبادئ الثورة عندما تعود. وتبدي عزمها على استئناف وظيفتها الاصلية كمدرسة لـ«تعويض ما يمكن تعويضه مما فات على الطلاب خلال السنوات السابقة».

في القطاعات الأوسع في أوساط نازحي الرقة يبرز الرأي العام الذي يؤيد العودة بعد رحيل داعش «فعلى الأقل ستتركهم أي سلطة أخرى وشأنهم»، وعلى الأقل كذلك، مهما كان الحال، سيكونون في بيوتهم حيث لا يعانون من تكاليف العيش الباهظة التي يعجزون عن تحملها، ولا من مرارات اللجوء الأخرى.

استطلاع رأي:

أجرت «عين المدينة» استطلاع رأي محدود شمل 200 شخص في أوساط نازحين من الرقة إلى (عين عيسى؛ منبج؛ جرابلس؛ الباب؛ اعزاز) ولاجئين منها في ولاية عنتاب وولاية أورفا ومخيماتها في تركيا. وقسمت العينة المستطلعة إلى شريحتين؛ الأولى وبلغت (50) من الناشطين والمنخرطين في مواقف وأدوار سياسية تركزت في عنتاب وأورفا سألتهم «عين المدينة» عن نواياهم بالعودة بعد طرد داعش من الرقة أو البقاء وعن آرائهم بالمجلس المدني للرقة الذي أعلنته قسد. والثانية وبلغت (150) لأشخاص في القطاعات الأوسع من النازحين واللاجئين «غير المنخرطين» في مواقف وأدوار سياسية ويعيشون ظروفاً اقتصادية سيئة، سألتهم المجلة عن نواياهم بالعودة أو البقاء بعد داعش، وعن مشاركتهم المحتملة في الحياة العامة بعد ذلك.

ركبان الرمل..!

عروة المهاوش

تحت حرارة الخيمة اللاهبة كانت تعد ما بقي لديها من الخضار كوجبة غداء لأطفالها الأربع الأيتام، تحاول جاهدة رمي الجزء الفاسد من حبة البندورة حتى يكون للطعام نكهة مقبولة، على الرغم من ثقتها أن الأطفال سيأكلونها مهما كانت النكهة سيئة، لكنه قلب الأم حين تقدم لفلذات كبدها قطعاً من لحمها حتى يتذوقوا أفضل النكهات.

أخذت الحرب والدهم فجأة، ودون سابق إنذار ليصبحوا أيتاماً دون راعٍ لهم، بحثوا كثيراً عن جثته تحت الأنقاض لكن أياديهم الطرية لم تقو على رفع القطع الإسمنتية الكبيرة، ولم تستطع أيضاً لطراوتها البحث طويلاً، رغم أن أصغرهم كان يحفر التربة ويبكي أباه الذي طمرت ابتسامته أنقاض البيت المتهالك أصلاً، الضجة الكبيرة التي حدثت خارج قماش الخيمة وصوت جارتها منادياً لها حين مرت مسرعة من أمام باب خيمتها أسرعي «شهناز» ودعي كل شيء من يدك فهناك توزيع للمساعدات في الطرف الجنوبي من المخيم، كان هذا النداء كافياً كي ترمي السكين من يدها وتمسح يديها الطاهرتين بأسفل ثوبها، ولم تنسَ أيضاً أن توصي أكبر أبنائها عمراً بألا يقترب أحد من إخوته الصغار من الطعام لحين عودتها، تراءى لها فوراً كمية الطعام التي ستفوز بها من تلك السلة الغذائية، وسوف تزيد على طعام اليوم كيساً من المعكرونة التي يحبها الأولاد، وتخبئ الأرز والبرغل، وبعض الزيت لشهر رمضان الذي أتى مسرعاً هذا العام، في الطريق نحو مكان التوزيع وهي تهرول تذكرت كيف كانت تسابق الزمن في رمضان كي تعد لزوجها ما يحب من طعام وما تشتهيه نفسه رغم أنه لم يكن رجلاً متطلباً لأنواع كثيرة ومتنوعة، فقد كان يحب ويفضل النوع الواحد مع القليل من الخضار، لن أستطيع اليوم أن أضع الفلفل الحار الذي يحبه أبو محمود على المعكرونة سوف أرش القليل منه كي يزيد من نكهة الطعام، محمود أيضاً يحب الطعم الحاد من الفلفل الأخضر، لكن هذا سوف يحرم بقية إخوته من الأكل، لذا قررت أخيراً أن تقاوم هذه الرغبة وتضع الملح وبعض البهارات الخفيفة، حين وصلت المكان لم تتفاجأ بالازدحام تحت الشمس الحارقة فهذا أمر طبيعي ويحدث في كل المرات، شدّت خصرها برباط تحمله، ولم تنسَ أيضاً أن تُحكم حجابها جيداً فمن العار أن يتكشف شعرها للعامة نتيجة الازدحام والتدافع، وعدم احترام بعض الرجال للنساء أثناء المزاحمة للحصول على تلك المساعدة، التصقت الأجساد ببعضها، وعلا الصراخ من الأهالي الجائعين لكن صوت العسكر كان أقوى من صوتهم الضعيف أصلاً نتيجة الجوع والتعب والقهر، ازداد الصياح مع غضب العسكر ليوجه أحدهم بندقيته نحو الجموع الجائعة ويطلق منها رصاصات استقرت برأسها. حين سقطت أمسكت بحجابها فيما دمها كان يُصور لها أنه رب البندورة التي ستطبخها اليوم مع المعكرونة، سقطت شهناز حسين المرزوق بين أقدام رائحتها تحمل رائحة تراب الوطن خارج أسواره، وما زال هناك أطفال أربع ينتظرون أمهم لتعد لهم الطعام في خيمة ذليلة بمخيم «الركبان» على الحدود السورية الأردنية.

أيام الموت الموجعة..!

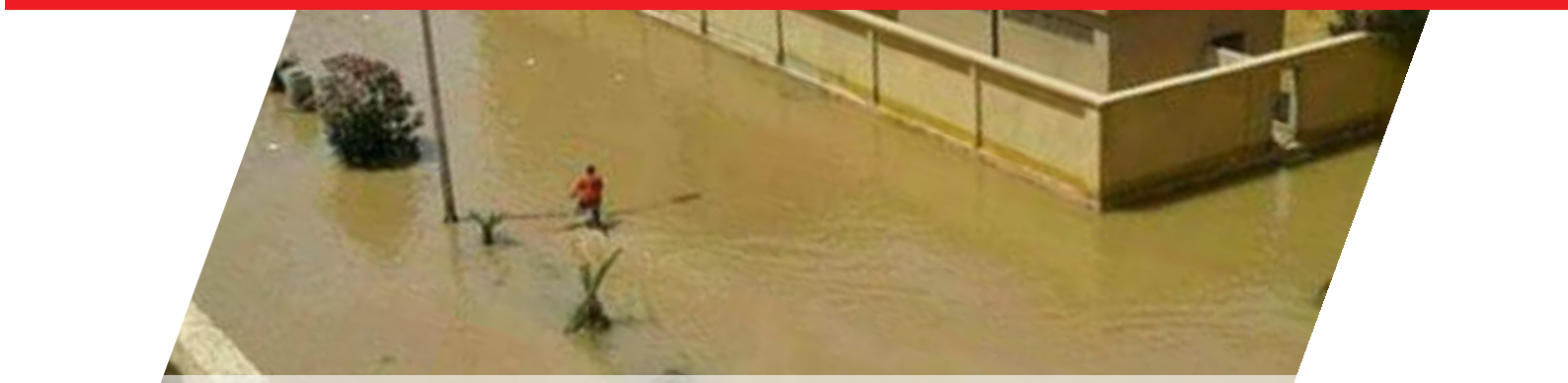

يوسف دعيس

تمر مدينة الرقة بأيام عصيبة، الموت يباغتها من الجو الذي تسيطر عليه طائرات التحالف الدولي، ومن مدفعية قوات قسد التي تحاول إحكام حصارها المطبق على مدينة الرقة، التي تقصف يميناً وشمالاً دون أن تترك أي فرصة للنجاة لمئات الآلاف من المدنيين المحاصرين في داخلها، وداعش هي الأخرى لا تراعي أية حرمة في الحفاظ على أرواح الناس، وهي أصلاً تحاول اتخاذهم دروعاً بشرية، وتمارس هوايتها في إعدام أهلها الواحد تلو الآخر تحت ذرائع شتى أولها التعامل مع التحالف الدولي، والتعامل مع قوات سورية الديمقراطية، ولا توفر في طريقها من تدعي أنهم يعيثون في الأرض فساداً.

وكما الموت يطال الناس، ينال الزرع والضرع هو الآخر نصيبه من الموت، فقد أقدمت داعش على إنشاء سواتر ترابية في محيط مدينة الرقة، وفي داخلها، فردت قوات التحالف بقصفها في مواقع عدة، ما أدى إلى تدمير هذه السواتر، ونجم عنها إغلاق مصارف الري الزراعية في المنطقة المحيطة لمدينة الرقة، ما أدى لارتفاع مستوى المياه السطحية، وتسربها باتجاه مدينة الرقة، الأمر الذي أدى لغمر أحياء كاملة بالماء، ووصل ارتفاع المياه في بعض المواقع إلى أكثر من متر، ما أدى لنزوح سكان الأحياء المتضررة باتجاه وسط مدينة الرقة، كما أن ارتفاع مستوى المياه السطحية سيؤدي حتماً لقتل كل أشكال الحياة النباتية، جرّاء غمر الحقول الزراعية بالماء، إضافة إلى إمكانية حدوث انهيارات محتملة للبيوت في الأحياء التي غمرتها المياه، إضافة للأبنية والمساكن المحيطة بمدينة الرقة، نتيجة التكهفات الناجمة عن زيادة تدفق المياه السطحية في أرض ذات طبيعة جبسية نفوذة للماء.

ومن خلال نظرة تحليلية لهذه الأحداث، سنجد بأن المستفيد الأول سيكون تنظيم الدولة، الذي سيكسب مزيداً من الوقت في محاولته المرسومة بدقة لإعاقة القوات المتقدمة باتجاه الرقة، أما المتضرر الرئيس فهو المواطن البسيط الذي لا حول ولا قوة له.

المجازر الوحشية التي ترتكب بحق أهل الرقة وأرضها لا تنتمي لأي قاموس يمت للإنسانية بصلة، فتغيب قوانين حقوق الإنسان، وشرعة الأمم المتحدة، وأفعال المنظمات الإنسانية عن سماء وأرض المحافظة في صورة تعيد إلى الأذهان مجازر الحرب العالمية الثانية، لكنها بصور صادمة وأكثر وحشية، لا تستثني في طريقها لا الشجر ولا الحجر.

آخر المستجدات التي تجري على الأرض رغم كل النداءات الإنسانية التي يطلقها الناشطون، وبعض من رحم ربي من المنظمات الإنسانية، ما يواجه أهل الرقة في مناطق الاشتباكات، ووقوع العشرات من الأسر النازحة بين نيران المتصارعين، وأيضاً تعرض أسر أخرى للموت جرّاء مرورهم بمناطق مزروعة بالألغام، دون أن يكون هناك أي طرق آمنة ترسمها القوى المهاجمة، وطبعاً يستمر مسلسل القتل اليومي الذي يستهدف المدنيين العزل من خلال القصف الجوي، الذي لا يراعي المدنيين أو المنشآت الحيوية، وفي طريقه يحكم الطوق على المحاصرين، ويمنعهم من الخروج إلى أماكن أكثر أمناً.

الموت والذل ما ينتظر أهل الرقة، ولا مفر من هذه المواجهة المؤلمة والحتمية، وما زال العالم بأنظمته الوحشية غافلاً عمّا يجري، وبعضه الآخر ممن ما زال يحمل بعضاً من إنسانية تائهة، لا يقدم إلا النزر اليسير لأناس تقتلهم الطائرات والمدفعية والرشاشات والألغام والجوع وتستبيح حقوقهم، وتستهين بحيواتهم وإنسانيتهم في صورة موجعة للقلب. هذه حال أهلنا الذين ما زالوا بانتظار أمل مرتقب..!

رسالة الى أهلي في الرقة

قصف طيران التحالف في ريف الرقة / إنترنت

إبراهيم العلوش

إلى أهلي الذين لا أعرف أين هم الآن، ولا أعرف أحوالهم.. فلم يصلنا منهم إلا خبر استشهاد ابن عمي عمر العلوش بقصف الطيران، وآخر الأخبار أن أفراد عائلته كانوا في المستشفى لمعالجة آثار الشظايا التي طالت أجسادهم، فالطفلة الصغيرة امتلأ جسدها بالشظايا، وهي أكثر المتضررين بعد والدها، الذي قد يكون ابتسم لها في لحظته الأخيرة، أو ربما لم يسعفه الوقت ليبتسم لها، أو لأي من أفراد عائلته، الذين تركهم صغاراً ووحيدين بلا معيل، وبلا وصايا الأب الأخيرة!

إلى أي عنوان أكتب إليكم، هل ما تزالون في الرقة، تحت نير الخوارج المتوحشين كحيوانات كاسرة، أم تناثرتم في البراري القاحلة أنتم وأطفالكم لتصيروا طعاماً للطائرات التي تشبه البوم في نعيقها وفي سواد غاياتها!

هل بقيتم في غرف طفولتنا وساحة بيتنا الذي شهد أفراحنا وأحزاننا، وشقاواتنا، واحتضننا ونحن خائفين من الامتحان، ومن تهديدات شيخ الجامع الغضوب الذي طالما كان يهدد عبر ميكرفونات الجامع المجاور بعذاب جهنم، وبوصف النار وطرق العذاب، بينما كان الشيخ الذي قبله يتحدث عن التسامح ونشر المحبة والتأمل في خلق الله!

هل تم تدمير مدرسة المأمون المجاورة، أم ما تزال واقفة بما تبقى لها من أعمدة وأسقف كانت تؤوي اللاجئين فيها، وتضج بحركة الجوار الذين يتفازعون لدعوة اللاجئين والتخفيف من شقائهم الذي ساقهم إليه النظام المجرم، ولاحقهم بالطائرات وبصواريخ السكود وبالحقد المقيت على السوريين!

هل خرجتم إلى الشمال، أم إلى الشرق، أم إلى الجنوب، أم إلى الغرب، فالجبهات جميعها مشتعلة، والأرض تضج بعسف الخوارج الفاقدين صوابهم وأخلاقهم، والسماء تمتلئ بالطائرات التي تسوق الغزاة الجدد، الذين يحلمون بشرب مياه النهر وحرمان أهل الرقة منها، لعلهم يحلمون بالاستيلاء عليها كتعويض لهم على قتلنا!

هل ما تزالون قادرين على شرب مياه النهر المعتكرة بالطين وبالدماء؟

هل ما تزالون بلا كهرباء تنير ليل الظلم الأسود الذي تزيده سواداً لحى المحتكرين لرحمة الله، والمتحكمين بموازين يوم القيامة، وكأنهم سرقوها من أيدي الملائكة، ونصّبوا أنفسهم أوصياء على الدين وعلى الدنيا؟

أين تفرقتم.. أين تفرقنا وتناثرنا، أين أنتم، أين أطفالكم، أين أغانيكم، ماذا فعل بكم الحزن على الشهداء.. الذين يتزايدون كل يوم وتتدفق دماؤهم كسيول البرية التي تفطن فجأة لتدفقها المجنون؟

السماء تمطر موتاً، والأرض تتحول إلى سجن كبير، فأين أنتم، أين محبتكم، أين ولعكم بالحياة وفرحة صلاة العيد التي تهدينا الملابس الجميلة.. أين أنتم فقد تحولت عيوننا وقلوبنا إلى رادارات ترصد رؤيتكم المنيرة، وتنتظر سماع أصواتكم الجميلة!

كان جدي يردد دائماً، بأنه عَبَر سنوات الجوع، وسنوات الوجع، وسنوات القحط، وسنوات الفيضان، وسنوات العجاج، وسنوات الغزو، وغسل وجهه بماء الفرات بعد كل محنة مرت به..

فمتى نجتمع جميعاً، ونغسل وجوهنا، ونعاود ضحكاتنا وذكرياتنا، وندعوا المعارف والجيران إلى وليمة على أرواح شهدائنا؟!!

ماذا عن نزاعاتنا المحلية...؟

محمد صبحي

لعل أهم ما يبادرنا في التحولات البطيئة أو المفاجئة (أفراداً ومؤسسات) تلك التحديات القاسية التي تضعنا في مواجهتها كأثر متبادل بين حوامل مختلفة في «المشروع، والهوية، والهدف» دون أن تدرك عفويتنا المعتادة عمقها أو مجال التأثير لها، وبها، وفيها.

كيف لنا أن نجعل من رؤانا وسلوكياتنا المختلفة مادة للحوار والإبداع في التعبير عن ذواتنا المختلفة ومواءمة هذه الرؤى في مشاريع تتكامل في المجتمع؟

يقول أحد الباحثين في شؤون التغيير الاجتماعي: «لا يمكنني تغيير العالم، بوسعي تغيير نفسي فقط».

تحيلنا هذه المقولة البسيطة إلى شرطها الاجتماعي، في أن «مشروع التغيير» في المجتمع مرهون بقدرات أفراده، ووعييهم لذواتهم، وثقتهم بأنفسهم وماذا يريدون في حوارهم، وماهي إمكانية مشاركتهم مع الآخرين في بناء المجتمعات، وليس هدمها وتالياً ترسيخ استخدامنا للعنف فيها؟

الإجابة على السؤال تستدعي مدى قدرتي على التحدي لمفاهيم خاصة تتحكم في التفكير، وتأسرني في جملة من التناقضات والعادات والمعارف الموروثة في المجتمع، تلعب لدي دوراً توجيهياً، وتؤثر في موضوع الحقائق التي أنطلق منها في تقدير المواقف، وبدلاً من أن أحمل ذاتي المسؤولية التي تتناسب مع ما أستطيع فعله في نظام مجتمعي عام، أكتفي بإلقاء اللوم على الآخرين، فلا أجد في النزاع فهماً جديداً للمشكلة، وأعمد إلى إدماج الأشخاص بالمشكلة وأوجه انتقادي للأشخاص وليس لأفكارهم، في محاولة لعدم فهم الآخر وماذا يريد وتالياً تدمير هذا الآخر الذي يتوجب علي الدفاع عن حالة الاختلاف معه.

مما أقره الباحثون أيضاً أن تقييم النزاعات العامة في المجتمع، لا يجب النظر إليها بسلبية دائماً وأنها مجازفة في الحقل الاجتماعي، على العكس من ذلك، فقد تشكل الحلول فيها فرصة جديدة للنمو والتغيير في المجتمعات إذا توفرت لدينا المسؤولية الاجتماعية والمعالجة البناءة بعيداً عن أدوار الإطفاء في الحرائق.

فهل قمت بتحليل جذور المشكلة والإحاطة بالنتائج التي تترتب عليها، وهل خففت من حدة التوتر فعلاً، وهل وضحت أيضاً الهدف الذي يناسب أطراف النزاع؟

إن المشاركة وعدم اليأس يقودني إلى ألا أرى نفسي المسؤول الوحيد عن الحل، كما أن إدارة النزاع تحتاج إلى تمكين المبادرين من أدوات التدخل في النزاع والاهتمام بالعلاقات، وألا يكون طموحنا إنهاء العنف بالكامل وإنما البناء المستمر للثقة بين الأطراف ومحاولة التفتيش عن ربح يجعل من أطراف النزاع مشاركين إيجابيين في حلول إدارة وتنظيم المجتمع.

بعد الإشارة إلى أهمية الفرد بقي أن نعرض الأهمية في وجود مؤسسات المجتمع التي تنظم سلوك الفرد وثقافته ووعيه وتجعل منه صانع التغيير الفاعل في المجتمع ويمكن الإشارة هنا إلى أدوار مدنية مستدامة وأنظمة عامة تحكم التفاعل الاجتماعي وتهيء البيانات اللازمة لمعرفة الاحتياجات وإشباعها الإشباع الذي يجعل من الفرد مواطناً كريماً.

الكثير من المنظمات في المجتمع هي صانعة للتغيير بخطاه البطيئة وتتقدم في برامجها عبر استهدافها وحدات مجتمعية وفئات وشرائح وأفراد من أجل التمكين الاجتماعي والحماية وتطوير الوعي الإداري والقانوني والتثقيف فيهما، والدفاع عن الحقوق العامة، ومحاولة الضغط لصيانتها، وهي مساهمة فعالة في تطوير وعي الأفراد في مجتمعاتهم.

ما زالت حوامل التغيير ضعيفة الوتيرة في مجتمعاتنا المحلية بسبب تراكمات الاستبداد والفساد في الدولة ومؤسساتها وطغيان السمات الأهلية محلياً في تفكير الأفراد والمجتمع الذي يحتضنهم، ووجود هويات ثقافية تتحكم بوعي فئات هامة من المجتمع المحلي وإعاقتها في تنظيم مؤسساته العامة كما أن وجود سياسات إقليمية ودولية متناقضة في المصالح ما زالت عاملاً مساعداً على تمزيق القرار، والذهاب بالأمور إلى تكتلات تنطوي على نزاعات سياسية، تؤثر وتعمق الشروخ في مشروع التغيير سلباً.

لا بد من دور فاعل لمؤسسات المجتمع المدنية العامة والخاصة، فيتاح لها التدخل الإيجابي في إيجاد صيغة تساهم في حلحلة إدارية وتنظيمية في خدمة المجتمع، وتحويل خطر النزاعات إلى فرص إيجابية وتعاون فعال يزيد من تماسك واستقرار المجتمع المحلي، ويكون الرابح فيه كافة أطراف النزاع.

ولن يكون ذلك إلا بوعي الذات والتواصل المستمر والاصغاء إلى الآخر من أجل فهم ما يريد وما نريد، والاحترام المتبادل فيما بين الأطراف، والتحليل الموضوعي لأوضاعنا العامة، ومحاولة الفهم العميق لطبيعة النزاع وديناميات العنف المحتملة فيه (إقليمياً ودولياً) وأثرها على المجتمع المحلي، والسعي إلى التعاون في وضع أهدافنا المشتركة.

كانديد: فضح النفاق الديني وما أشبه الأمس باليوم!

ترجمة بتصرف لأحمد مولود الطيار عن: studymode

لم يكن الكاتب والمفكر الفرنسي فولتير ملحداً، ويقال إنه بنى كنيسة صغيرة في قريته الصغيرة «فيورني»، وكان يمارس فيها نشاطاته الدينية إلا أنه كان يمتلك قلماً حاداً وساخراً سلّطه، في جزء من كتاباته، لنقد ومهاجمة الكنيسة الكاثوليكية. وربما سخريته من رجال الدين، ولّد عنه تلك الفكرة النمطية وأنه ملحد. فلقد روي عنه وأثناء احتضاره، وهو على فراش الموت، أن القسيس طلب منه أن يتبرأ من الشيطان ويعود إلى الله، قيل إن إجابته كانت «لا وقت لدي الآن لأكتسب المزيد من العداوات».

تعتبر روايته الشهيرة «كانديد» أو «التفاؤل» ربما من أبرز أعماله والتي أراد منها وبأسلوب ساخر تعرية وفضح النفاق الديني الذي كان سائداً في عصره.

«كل شيء يسير نحو الأفضل في أفضل العوالم الممكنة»، هذا ملخص الفلسفة التي أراد فولتير دحضها وتفنيدها عبر روايته الساخرة. حيث تقول تلك الفلسفة المفرطة في التفاؤل بأن الله كامل وكل شيء يأتي منه الغاية منه هي الخير، وكل الشر وتلك الأهوال هي جزء من تلك الهندسة الربانية، وكل المعاناة الإنسانية ضرورية وتخدم غرضاً وهدفاً أعلى لا يمكن أن يدركه الإنسان ببساطة. فولتير اعتبر أن تلك الفلسفة مضللة وتتصنّع تفاؤلاً غالت به كثيراً. ومن هنا عنوان الرواية هو التفاؤل. ويعرض الفيلسوف الفرنسي، الذي يعد أحد الذين بشروا بقيام الثورة الفرنسية، في روايته سلسلة ضخمة من الأهوال التي يتعرض لها الإنسان كالحروب والتعذيب والاغتصاب والاضطهاد والنفاق الديني واللاعدالة الاجتماعية والأمراض والكوارث الطبيعية التي تفند مقولة معلم وأستاذ كانديد، الطيب بانغلوس، الذي هو في الأصل محاكاة ساخرة للفيلسوف الألماني ليبينتز، الذي مع فلاسفة كثيرين غيره صاغوا «فلسفة التفاؤل».

مع كل تلك الكوارث التي يتعرضان لها، كانديد ومعلمه بانغلوس، والتي تدحض وتفند العنوان الرئيس لتلك الفلسفة «كل ما يحيط بنا نحو الأفضل في أفضل العوالم الممكنة» مع كل ذلك، يبقى المعلم بانغلوس مؤمناً بتلك الفلسفة الدوغمائية، ويتم شنقه من قبل أولئك الذين يروجون لتلك الفلسفة، قادة ورجال الدين المسيحي، أما كانديد الذي يؤمن بها حد العماء، يقرر أخيراً ومجبراً أن يسائل تلك الفلسفة.

يمكن القول، وعبر تحليل شخصية كانديد الشخصية الرئيسية في الرواية والتي حملت اسمه، أن سير خط تلك الشخصية وما تعرضت له من أهوال ومخاطر، هو الخط الواصل من اليقين المطلق إلى الشك الذي لا يهدأ في طرح الأسئلة وصولاً إلى النضج الذي يعرف كيف يُدار ويتحرك هذا العالم؛ عالم وزمن فولتير. فانطلاقاً من اسمه كانديد الذي يشير إلى الوضوح والاستقامة والصراحة وإلى كل ما هو أبيض وأكبر من مجرد مفردة ليتسع ويصل إلى مفهوم كامل، حيث وفي بداية الرواية يسلّم كانديد ويوافق على كل ما يقوله معلمه وأستاذه بانغلوس بدون أي سؤال، لا بل ويتشبث به خاصة بعد طرده من القلعة التي كان يعيش فيها مسترخياً لاهياً لا يكدّر صفوه أي شيء حتى طرده من قبل البارون عندما ضبطه يقبل ابنته. والسبب بسيط أن كانديد وهو في القصر لم يكن يعرف من فلسفة أخرى سوى فلسفة أستاذه بانغلوس، إنّما، وبعد تشرده وانتقاله من كرب إلى آخر، كان لزاماً عليه أن يقفز قفزات كبيره ليصل إلى المنطق. المنطق الذي يجعله يفهم سبب معاناته ومعاناة رفاق رحلته. المنطق الذي بدأ يتكشف وأن «فلسفة التفاؤل» لم تعد تفي بالغرض وغير قادرة على تفسير العالم، ولا يمكن الركون إلى تفسيراتها من مثل أن زلزال لشبونة الذي ضربها، وقت دخول كانديد ورفاقه إليها، لم يقتل إلا أولئك غير المؤمنين، كما صرحت محاكم التفتيش ورجال الدين الكاثوليك! هنا لم يسكت ممثلو تلك الفلسفة بل عملوا على تزييف الواقع عبر محاولة إقناع الناس أن كل شيء يسير نحو غاياته المنطقية حيث الخير الحتمي. وعندما بدأ كانديد يخبر ويعرف الكثير من العالم الذي يجوبه من بلغاريا إلى هولندا إلى البرتغال وأماكن ودول أخرى، وكان شاهداً على أحداثه ووقائعه وكيف يعاني فيه الإنسان، وحجم الشر والكذب والنفاق الديني فيه، من هنا بدأت شخصية معلمه بانغلوس وكل تعاليمه تتهاوى على وقع أسئلته التي بدأت تشق طريقها مسائلة ومحاكمة تلك النظرية. هي لم تكن أسئلته بقدر ما كانت أسئلة الواقع والعالم الذي ما عاد يمكن حشره وتفسيره عبر تلك الفلسفة، صار لزاماً تفسير النظرية عبر الواقع لا العكس. وهذا ما جاءت به نهاية الرواية، حيث لم يعد كانديد يعتبر بتلك الفلسفة وأي فلسفة أخرى ولم يعد يعطيهن أي اهتمام. توجه إلى ما وصل إليه، ساعده في ذلك صديقه الحكيم، مارتن، الذي التقاه في واحدة من تلك الدول التي كان يجوبها في أوربا، وأن الطريق الوحيدة للتغلب على كذب ونفاق هذا العالم يتمثل في انصرافنا إلى الاهتمام «بزراعة حديقتنا الخاصة»، وبدأ يوجه اهتمامه إلى الحرث والفلح والزراعة والعمل على تهذيب وتشذيب مزرعته التي يعيش فيها هو ورفاقه وأصدقاؤه.

ختاماً، لا يمكن فهم شخصية كانديد بمعزل عن شخصية أستاذه ومعلمه بانغلوس؛ يبدو أن فولتير أراد، من خلال التضاد بين الشخصيتين، إبراز منطقتين بارزتين خيّما على عصره آنذاك؛ الديناميكية مقابل السكون، الحركة مقابل الثبات، الشك مقابل اليقين، السؤال الحارق، كسهم ينطلق باتجاه دوغمائيات راسخة، مقابل الأجوبة التلقينية المبسترة والجاهزة. هذا التضاد فعل فعله فنرى كانديد ذلك الشاب الساذج -في بداية الرواية- نضج وتطور كثيراً لأنه فهم الواقع واستطاع التعامل معه وترويضه، أما بانغلوس فرأى أنه من غير المنطقي تغيير اعتقاده وظل متمسكاً بآرائه بعماء وصولاً إلى أنه أصبح متسولاً يرتدي أسمالاً بالية وغزا مرض السفلس نصف وجهه، ثم نهايته شنقاً على يد رجال دين الكنيسة الكاثوليكية.

دور الثقافة والمرأة في الثورة السورية

لقاء مع الدكتورة سماح هدايا وزيرة الثقافة في الحكومة السابقة

أجرى الحوار الشاعرة لميس الرحبي

تولي الدكتورة سماح هدايا اهتماماً بالغاً بالثقافة ودورها في تعزيز قيم الحق، والانتصار لحرية الشعب السوري في مطالبه المشروعة للحرية والكرامة، ودور المرأة الأساسي في بناء المجتمع السوري الجديد على أسس الحرية والديمقراطية.

ما هو الإدراك الحقيقي للمثقف ودوره في ثورة الحرية والكرامة، وهل استطاعت الدكتورة هدايا أن تقدم صورة جديدة للمثقف السوري من خلال عملها في وزارة الثقافة في الحكومة السورية المؤقتة، وهل كان دورها نمطياً على صورة وزارة الثقافة السورية في حكومة النظام، أم كان دورها تجديدياً؟

أسئلة نضعها أمام الدكتورة سماح هدايا وزيرة الثقافة في حكومة الدكتور أحمد طعمة السابقة.

*** منذ توليك منصب وزارة الثقافة في الحكومة السورية المؤقتة قمت بالعديد من التعديلات والاجراءات التي تشهد لك الوزارة بها هل لاقى ذلك تجاوباً من قبل المسؤولين والموظفين التابعين للوزارة؟**

** ما قمت به كوزيرة ثقافة وشؤون أسرة، منذ بداية تنفيذ مهامي، من تعديلات وإجراءات تتعلق بالهيكلية والتنظيم والمراجع، نتج عنه، تسريح عدد من الموظفين وإغلاق بعض المراكز الثقافية وتجميد بعضها، لإعادة تقييم عملها، نظراً لكثير مما قيل فيها، ومراجعة شراكات معيّنة، في تقييم حقيقي لأدائها وجدواها، وأدّى لغضب من الموظفين ومن بعض المراكز العاملة مع الوزارة.

ولتوضيح هذه النقطة، فإن ما طال وزارة الثقافة والقائمين عليها من عدم إيجابيّة لدى بعض الأطراف، لعلّه ناجم في أحد أسبابه، عن نمطيّة النظرة التقليديّة إلى المؤسّسات الرسمية ودور حكومة المعارضة على أنها حكومة بديلة بالمطلق؛ عليها تقديم الخدمات والدعم المالي وتمويل المشاريع والأعمال والأنشطة والتوظيف ومنح الرواتب للعاملين وللناشطين. وبالتالي كان إخفاق الحكومة السوريّة المؤقتة في تقديم المطلوب والمعهود في هذا الشأن، من أهم اسباب اشتعال الموقف المعادي لها ولمرجعيتها ولوزاراتها، نتيجة عجزها عن تلبية الاحتياجات في الدعم وفي التوظيف والتشغيل، ثم بسبب تسريحها لاحقاً لكثير من الموظفين نتيجة الظروف المالية والمهنيّة وانقطاع التمويل.

*** من أهم ما وضعته بخطة جدول أعمالك في الوزارة، بث روح الأمل والمقاومة لأجل الغد الأفضل؛ فكيف استطعت تجاوز الصعوبات التي وجدتها أمام مكتبك؟**

** كنت متحمسة جداً ومؤمنة بالعمل وخدمة شعبنا في قضاياه التنموية والثقافية من خلال موقفي في الوزارة. ووضعنا خطة عمل وفريق عمل صغير، محاولين تجاوز الصعوبات الكثيرة والتحديات، لكننا رغم ما أنجزناه من أنشطة مهمة، لم نتمكن من تحقيق نجاح يليق بالعمل كوزارة. اصطدمنا بالواقع المالي وهو أمر فظيع. ومع ذلك، في نطاق الظرف الذي مررنا به فما فعلته أنا وغيري جدير بالتأمل والنقد؛ لأنه جزء من تجربة سوريّة وفصل من تجربة إنسانيّة صعبة في ظل حرب وتحديات كثيرة مصيرية..

*** هل ساهمت ببعض الأنشطة الخاصة بالمرأة والطفل على الأقل في مكان تواجد عملك في غازي عينتاب؟**

** نعم. إيماننا بالأسرة والمرأة، هو جوهر عملنا كوزارة في شؤون الأسرة، وقد حاولنا القيام بعدة أنشطة تنموية وتمكينية، حققت نجاحاً لا سيما في أنشطة « تعليم بلا حدود» وبيت الحكاية، والمعرض الدائم، وجلسات تمكين المرأة والتوعية، وغير ذلك.

عملية رأب الفجوة ومعالجة الجروح البليغة التي تتعرض لها الهوية الإنسانية والأسرية في ظل الحرب، واجب حتمي ودور وزارة الثقافة وشؤون الأسرة. فالحرب تفكّك الرّوابط الإنسانية والعائلية والاجتماعية، وتستلزم عملاً منهجياً واسعا متسقاً طويل الأمد من التّثقيف والتعليم والتّنمية الفرديّة والاجتماعيّة والتوعية، خصوصاً في رعاية الأطفال والمعوقين وكبار السن والأيتام وتمكين النساء اللواتي يتحملن التزامات وأعباء شديدة نتيجة النزوح واللجوء وغياب المعيل التقليدي..

واجهنا احتياجات كثيرة، خصوصاً بعد زيادة بعض أماكن تواجد السوريين التي تحتاج إلى دعم ورعاية ثقافية واجتماعية في مجالات الأسرة والمرأة، والتقينا ببعض الناشطين والمثقفين، وببعض المنظمات والجمعيات ووسائل الإعلام وحاولنا؛ بعد أن قمنا بتعديل خطتنا، لتلائم الواقع، أن نعمل معاً، لكن تداعي واقع الحكومة المالي جاء سريعاً وقاسياً وأغلق أمامنا فرصة العمل الحقيقي المطلوب.

*** قلت فيما سبق إن ما يعترضك من صعوبات هي شدائد، وهناك ألغام يومية تدوسين عليها، هل استطعتِ تجاوزها؟**

** تجربتي وضعتني في صراعات وتحديّات ومواقف ومواجهات لم أعهدها؛ ووضعتني وجهاً لوجه أمام استحقاقات إنسانيّة. التحديّات والظروف كانت أكبر من إمكاناتي كفرد أو كوزارة، وذلك لأسباب متعددة على رأسها، النظرة السلبيّة لأهميّة عمل الوزارة، وعدم وجود التمويل لمصاريف التشغيل ورواتب للموظفين والعاملين، بالإضافة إلى غياب العدد الكافي من موظفين خبراء متخصصين يقومون بالعمل باحترافيّة.

وجّهنا طاقة العمل للتخطيط ولبناء هيكلية مؤسساتية في الداخل السوري والعمل على إيجاد شبكة عمل بإمكانها حمل العمل الثقافي والاجتماعي بشكل مؤسساتي؛ لكنّه بقي جامداً، لأنّه من دون تمويل حتى لرواتب الموظفين أو مصاريف التشغيل. وسعينا لتخطيط العمل ضمن ما يسمّى المناطق الآمنة، وقمنا بإعداد خارطة عمل منهجيّة، بالتنسيق مع الجهة المسؤولة؛ لكنْ، ظل ذلك الجهد حبراً على ورق؛ بسبب الظروف السياسية الإقليمية.

*** من خلال عملك ماذا تقولين لمن فقد الثقة بالحكومة حالياً؟**

** طبعاً، عجزت الحكومة السورية المؤقتة، كمؤسسة من مؤسسات المعارضة عن تحقيق شرعية شعبيّة، داخلياً وخارجياً. صحيح أنّ الحكومة السّورية المؤقتة مؤسسة من مؤسسات الائتلاف، وتحمل مشاكله وصراعاته الداخلية والخارجية، والتي أثرت وما تزال تؤثّر في عمل الحكومة وفي اختيار فريق عملها؛ وهو ما أفقدها المصداقية وصبغها بالتحاصص والمحسوبيّة، وجعلها لا تحقق ما كانت قد وضعته لها من أهداف لخدمة الشعب السوري. لكن، حتى يكون الحكم موضوعياً خارج القناعات الذاتيّة، لابدّ من النظر لعمل الحكومة السورية المؤقتة ضمن الظروف الإقليمية والدّوليّة التي دعمتها في أول الطريق ثم تراجعت وعوّقت عملها، وضمن غياب التمويل كشرط أساسي لقيام أي عمل مؤسساتي، الذي انقطع حتى وصل الأمر إلى عجز الحكومة

عـن تمويـل نفسـها، وعـن دفـع رواتـب العامليـن فيهـا، وعـن تمويـل مشـاريع عمـل راسـخة مسـتديمة ذات معايـير مهنيّـة، وانتهـى المطـاف بتقويـض عملهـا في وزارت محـدودة صغـيرة، أقـرب إلى مجالـس عمـل وهيئـات تنفيذيـة مدعومـة بمنظـمات وتيـارات تتحكّـم بالتمويـل.

صحيـح أنّ فقـدان الثقـة، شـعبيًا بالحكومـة، يعـود لتقصـير الحكومـة في تقديـم دعـم حقيقـي داخـل سـوريا ولخلـل في العمـل المؤسسـاتي والتوظيفـي. لكـن المشـكلة تكمـن في ذهنيـة الحـراك السـوري السـياسي المعـارض، وفي الظـروف الإقليميـة والدوليّـة. ومسـؤوليته لا تقتـصر عـلى الحكومـة والائتـلاف بـل أوسـع مـن ذلـك. هنـاك صراعـات سـوريّة بينيّـة تفاقمـت عـلى جوانـب الـصراع الأسـاسي مـع النظـام وحلفائـه. وهنـاك اختراقـات خارجيّـة وجهويّـة، وتدخـلات ضاغطـة لبعـض القـوى المنظـمات والتيـارات داخـل الحكومـة أو متعاونـة معهـا، ولعبـت جهـات ذات مصالـح مضـادة لوجـود الحكومـة ولشرعيتهـا وتمثيلهـا السـياسي في دعـم هـذا التوجّـه. في النهايـة هنـاك حاجـة كبـيرة لوجـود مرجعيّـة سياسـية للتنفيـذ، الأمـل في نمـو الوعـي المؤسسـاتي ليـوازي قيـم الثـورة التاريخيّـة، ويتخطّـى العـثرات ويجـري مراجعـات للتجربـة، لـكي يحقـق تقدمّـاً وإنجـازاً وسـط التّحديـات الكثـيرة والصعوبـات.

*** هـل فعـلاً تأمـين قـوت النـاس وملجـأ آمـن لهـم. أهـم مـن الثقافـة والفكـر والعمـل عـلى تطويرهـا ومـا السـبيل لتغيـير هـذه القناعـات؟**

** الثـورة ليسـت فقـط إسـقاط نظـام سـياسي وإطاحـة بحاكـم، وعسـكرة وسـلل إغاثـة. صحيـح أن متطلبـات الواقـع الآن تتجـه نحـو إغاثـة النـاس وإطعامهـا وإسـعافها. لكـن يجـب أن يسـير بالتوازي مـع ذلـك العمـل التنمـوي والتنويـري والتمكينـي. الثـورة هـي ثـورة في العقـل وفي منظومـة التفكـير وفي المخيّلـة. ويصبـح العمـل التثقيفـي في غايـة الأهميّـة مـع تفاقـم الهـزات الاجتماعيّـة والمحـن، ومـع تفكيـك الحـرب التـي تتعـرض لهـا الأوطـان وأهلهـا.

تلعـب بعـض الملامـح المزيفـة العصبويّـة لصـورة الوطـن أثرهـا في تشـكيل أزمـة ثقافيـة ووطنيـة لا تقـل خطـورة عـن الحـرب، وبالتـالي تـؤدي لحـرب أهليّـة ومزيـد مـن العنـف والاقتتـال البينـي، وتظهـر واضحـةً في سرعـة اسـتجابة مسـاحة واسـعة مـن المجتمـع لمحـرّكٍ مـن الدّعـوات الطّائفيّـة أو المذهبيّـة أو الإقليميّـة أو العشـائريّة أو العرقيّـة أو المناطقيّـة أو الشّـلليّة. وتعمـل هـذه المحـرّكات الخبيثـة بنشـاط عـلى تمزيـق وحـدة الوطـن ومجتمعـه، وعـلى تقطيـع شـبكة العلاقـات المختلفـة التـي تحكـم بنـاءه، ومـن ثـم عـلى تشـويه الصـورة الوطنيـة ومفهـوم المواطنـة. وتجـاوز هـذا الوضـع الظلامـي مرتبـط بالتّعليـم والتّفكـير والثّقافـة، لذلـك يجـب أن يكـون العمـل الثقـافي حـاضراً بقـوة، خصوصـاً لمكافحـة تداعيـات هـذه الحـرب الشرسـة، ووضـع الأولويـة لدعـم الإنسـان وتعزيـز القيـم الإيجابيّـة في مجابهـة الأفـكار السـلبية الخطـيرة، الناجمـة عـن المأسـاة، وهـو مـا يقتـضي عمليـات إسـعافيّة كثـيرة لا تقتـصر عـلى الصحـة الجسـدية؛ بـل تتعداهـا إلى الصحّـة النفسـيّة والصّحـة الاجتماعيّـة ومتطلبـات العيـش والأمـن الاقتصـادي الاجتماعـي.

وبالتـالي لا بـد مـن وجـود مرجعيـة وحاضـن ثقـافي ذي شرعيّـة ومشروعيّـة. لأنّ عمـلاً كثـيراً مـن الـضروري أن تتصـدى لـه بالعمـل والتخطيـط، لا أن يبقـى عائمـاً بـين أجنـدات المنظـمات. هنـاك منظـمات كثـيرة مهمـة فاعلـة عـلى الأرض في مجـال الثقافـة والدعـم للأطفـال والنسـاء، والشـباب تعمل في مشـاريع حيويّـة تمكينيـة وتنمويـة، لكـن يعمـل بعضهـا وفـق ملفـات اسـتخباراتية وبمسـارات خارجيّـة؛ لذلـك يجـب الإشراف عـلى العمـل وفـق الأسـس الوطنيّـة، خصوصـاً في الملفـات السـيادية كملفـات التربيـة والآثـار والـتراث الـذي يمكـن العبـث فيهـا واحتـلال العقـل والتزييـف والسرقـة والتحريـف.

*** هـل عملـت بشـكل منهجـي للمسـاهمة في صناعـة الدسـتور وتغيـير القوانـين المتعلقـة بالمـرأة.**

** بشـكل منهجـي فكـري نعـم، لكـن ليـس بشـكل مؤسسـاتي مسـتدام.. هـذا يتطلـب آليـات جماعيّـة وسياسـية وقانونيّـة. وذلـك لم يكـن متاحـاً، ولـن يكـون سـهلاً في ظـل هـذا التـشرذم السـياسي والفكـري وغيـاب المرجعيّـة. حاولنـا جـداً التواصـل مـع الحـراك النسـائي بهـذا الشـأن ومـع منظـمات متخصصـة. ونشرنـا بيانـات بهـذا الشـأن. لكـن هـذا يحتـاج آليـات منظمـة جـداً وعمـلاً طويـلاً. وليـس فقـط مجـرد لقـاءات وورشـات ومحـاضرات وآمـال ومنشـورات. مـن ناحيـة شـخصية لي مقـالات كثـيرة في هـذا الشـأن منشـورة في الإعـلام السـوري.

*** عـبر خمـس سـنوات تتدفـق أعـداد كبـيرة مـن نسـاء سـوريا وأطفالهـا لاجئـة نازحـة بـلا مـأوى آمـن، عرضـة للاسـتغلال والاسـترقاق الجنـسي، أمْ تفقـد شـعارات مكافحـة العنـف ضـد المـرأة كثـيراً مـن مصداقيتهـا باسـتمرار بقـاء آلاف النسـاء في غيـاب لأدنى الحقـوق؟**

** نعـم. قـد يكـون هنـاك فقـدان للثقـة نتيجـة بعـض الممارسـات الخاطئـة. لكـن ذلـك يشـمل الجميـع. الرجـال والنسـاء.

الحلـول المتعلقـة بقضايـا المـرأة ليسـت عمـلاً سـهلاً. تحتـاج مسـيرة كفـاح واسـعة مرتبطـة بالنهضـة الشـاملة والتحـرر الوطنـي وحقـوق الإنسـان. هنـاك حـراك نسـائي سـوري بـدأ يتسـع وينضـج رغـم جغرافيّـة التشـتت. لكـن هنـاك حـراك ضيـع الطريـق وضـاع في المتاهـة والفـوضى. وظهـرت المـرأة في بعـض المواقـع طرفـاً في تعميـق الـشروخ الاجتماعيـة والفكريـة، جعلـت مـن مكاسـب شـللية وفئويـة وذاتيـة أوليـات لهـا، وعندمـا أسـهمت في حـرب عـلى الهويـة والتاريـخ، بـدل أن تكـون حربهـا عـلى الجهـل والاسـتبداد والظلـم..

مـع الثـورة حصـل تهديـم وتكسـير أو تكريـس وتقديـس للمنظومـة الفكريـة السـائدة. وفي كلا الحالتـين عـداء عـلى الـشروع الإنسـاني التحـرري. وانتـشرت غوغائيـة نمطيـة راسـخة ضحلـة مـن دون وعـي تاريخـي. السـوريون يخوضـون في صراعـات مصيريـة، لكـن هنـاك وجـه آخـر، وهـو صراع السـوريين ضـد بعضهـم وضـد تاريخهـم وذاتهـم، يـؤدي إلى هـدر الجهـود في صراعـات جانبيـة وجزئيـة منسـوخة مـن المـوروث، بقـراءات متطرفـة يساريـة أو يمينيّـة، لسـياقات مجتـزأة، وخصوصـاً فيـما يتعلـق بحريـة المـرأة، بموضوعـات غـير مصيريـة مثـل موضـوع اللبـاس والحجـاب، منفلتًـا مـن كل الضوابـط ومـن أبجديـات احـترام الـذات والآخـر، متجاهـلاً جوهـر الأمـر وهـو ظلاميـة الجهـل والاسـتبداد.

*** قلـت في لقـاء سـابق إن مـا يجعـل المـرأة أنقـص هـو رأيهـا بـأن الرجـل أرفـع شـأناً وهـي أقـل منزلـة فمـن أيـن تجـد المـرأة دورهـا الإنسـاني رغـم التحديـات الكـبرى؟**

** المـرأة في الثـورة قـوة لهـا وقـوة لمجتمعهـا، تمـد مشروعهـا التحـرري الـذاتي والاجتماعـي والوطنـي والإنسـاني بطاقـة هائلـة، وتدفـع مجتمعهـا نحـو كتابـة تاريـخ جديـد حـر وكريـم. لكـنْ، عـلى المـرأة التـي تنشـئ الأسرة المجتمـع، تمثّـل قيـم الحريـة والكرامـة والعـدل في فكرهـا وأدائهـا. وحتـى يحصـل هـذا، لا بـدّ أساسـاً، مـن أن تـدرك المـرأة قيمتهـا الذاتيـة كإنسـان كريـم عاقـل، وكسـيدة حـرة تقـوم بـأدوار مهنيّـة واحترافيّـة، وبـأدوار اجتماعيـة وسياسـيّة مهمّـة. ومـن هنـا منطلقهـا. وكي تصبـح المـرأة قـوة، يجـب توحيـد جهودهـا في العمـل الجماعـي النسـوي الوطنـي في إطـار الحقـوق والحريـات. حمايـة المـرأة تـأتي مـن وعيهـا بذاتهـا ومجتمعهـا وحقوقهـا وكرامتهـا والعمـل بعقـل جماعـي وفـق أطـر منهجيّـة. العلـم والمعرفـة يزيـدان في قـوة المـرأة، والعمـل الجماعـي المنهـج يصقـل خبرتهـا، لذلـك مـن الـضروري أن تنخـرط المـرأة في تجمعـات ضمـن الحـراك الفكـري والسـياسي والاجتماعـي والاقتصـادي. لا يمكـن فصـل الأدوار. كلهـا تتشـارك بـين الاجتماعـي والأسري والاقتصـادي والسـياسي. والقـوة لا تـأتي في وجهـة ضيقـة.

المسـيرة النسـائية تتعمّـق في خضـم التجربـة ومواجهـة الظـروف الصعبـة والمهـمات الكبـيرة. بالطبـع اضطهـاد المـرأة واسـتغلالها يتسـع جـداً في ظـروف الحـرب واللجـوء والنـزوح والاخـتراق الاسـتخباراتي، ووحدهـا لا تقـدر عـلى مجابهـة هـذا الافـتراس والتوحـش العـام، لكـن بالحـركات النسـائية وحـركات الدفـاع عـن حقـوق المـرأة وحريتهـا، تسـتطيع المـرأة أن تجـد القـوة والدعـم وأن تحمـي حقوقهـا وترسـم مصيرهـا كشريـك في بنـاء المجتمـع والدسـتور والقانـون.

الرقة... هل يُصلح العطار ما أفسد الدهر؟!

أحمد العجيلي

لم تكن انتفاضة السوريين في ربيع عام 2011 سوى امتداد لثوراتٍ بدأت من أقصى المغرب العربي مروراً بمصر الكنانة لتحطّ رحالها في ربوع الشام. أُريد لهذه الثورات أن تدفن في بادية الشام، لتكون درساً لهذه الشعوب كي لا تتمرد مرةً أخرى على جلاديها. أيّاً يكن توصيف ما جرى في ذلك العام من قبل النخب السياسية والثقافية في الوطن العربي وفي سورية خصوصاً، فإنّ ما قد حصل بات جزءاً من الماضي، ولا يمكن بأي حالٍ الرجوع بآلة الزمن إلى الخلف. نادت الشعوب الثائرة بتحقيق جملة من المبادئ في مقدمتها العدالة والمساواة والتداول السلمي للسلطة، ونبذ العنف والطائفية والمذهبية. إلا أنّ ما شهدته البلاد كان يسير على النقيض من تلك المبادئ التي كلّفت شعوب المنطقة دماءً سالت كالأنهار من المحيط إلى الفرات، الأمر الذي يستوجب الوقوف مليّاً عند نتائج هذه الثورات، ليس الهدف من ذلك هو جلد الذات والتحسّر على الأوضاع التي كانت قائمة قبل اندلاع تلك الثورات، فهذا أمرٌ لا جدوى منه سوى تخدير العقل، والركون إلى الكسل والتقاعس عن إدارة الأزمة التي يمرّ بها هذا الشعب أو ذاك، وإنّما مواجهة الواقع بصورته القاتمة، والوقوف على مجريات المرحلة السابقة بأخطائها كافة هو ما يلزمنا لمواجهة المستقبل.

في سورية بات الأمر يفوق تصور أي عاقل كان يتوقع أن تصل ثورة السوريين إلى ما وصلت إليه، من قتلٍ وتشريدٍ وعنفٍ وتغييرٍ ديمغرافي، الأمر الذي أشكل على السوريين أنفسهم في تفسير ما آلت إليه الأمور في بلادهم. تحدّثني إحدى الهاربات من ظلام داعش، وقد تجاوزت الحاجز الأخير له في منطقة الفرات، وأجهشت بالبكاء قهراً على هذه السنوات التي مرّت من عمرها في ظل هذه الأحداث المأساوية لتسألني بحرقة قلبٍ: أيُعقل أن أتنقل داخل بلادي متخفية؟ أيُعقل أن أحتاج إلى كفيلٍ كي أتمكن من دخول تلك الأرض التي زرعها جدّي يوماً ما؟ لماذا حلّ بنا هذا العقاب الإلهي؟ أسئلة ألقتها على مسمعي وهي على قناعةٍ تامّة بأني لا أملك لها إجابةً تشفي غليلها. «جميعهم ظلموا هذه الأرض، وراحوا يتباكون عليها كالنساء» قالت تلك الكلمات وفيها ما فيها من لومٍ وتقريعٍ لتلك الأطراف التي تصارعت يوماً على أرض أجدادها دون أن يكون لها أو لأهلها رأي في هذا الصراع الهمجي.

أذكر أنّ أحدهم جلس بقربي في المقهى ذات مساء، وراح يهمس في أذني راجياً أن أقرضه مبلغاً زهيداً من المال كي يتمكن من شراء علبة سجائر لم يعد يملك ثمنها؛ أطرقت خجلاً حينها وناولته دون أن أحرجه أمام الآخرين ثمن علبة السجائر، إلا أنّ حظه العاثر جعل أحد الأصدقاء يتوقع ماذا دار بيننا، فأجبته بعد إلحاحٍ منه عن فحوى طلب ذاك الصديق: ارحموا عزيز قومٍ ذل.

لكنّ جليسي امتعض من إجابتي، وعبّر عن سخطه على ذاك الغني الذي افتقر فجأة وأضحى متسولاً بين ليلةٍ وضحاها، فقال صديقي مردداً بيت ابن زريق البغدادي:

رزقتُ ملكاً فلم أحسن سياسته وكلُّ من لا يسوس الملك يخلعه

أذكر حينذاك أني تقبّلت نقدَ صديقي بضيق شديد، كونه لم يقبل أعذار هذا الغني الذي فقد ثروةً هائلةً بلمح البصر. إلا أنني اليوم أسترجع هذه الحادثة، وأنا أرى ما يقوم به أولئك الذين حملوا السلاح يوماً، وسادوا مدينتي رغماً عن أهلها، فحكموهم بالحديد والنار والسيف والنطع، وهاهم اليوم يتباكون على ما حلّ بأهلهم. نسي أو يتناسى من يتباكى على الرقة اليوم أنّه قد كان في يومٍ من الأيام عوناً لأولئك الأفاقين الذين سلبوا أرواح الناس وأموالهم تحت راية الإسلام. هل نسي ذلك الثوري «سابقاً» اللاجئ» لاحقاً، أنّه ذات يوم كان شاهداً على كتائب السطو والسلب التي تملّكت رقاب العباد؟! التاريخ لم يعد يُكتب بأقلام المنتصرين، ولم تعد الأمور مثلما كانت سابقاً، فقد بقينا لعقودٍ نظنّ أنّ قاطع الطريق كان ثائراً ضدّ الفرنسيين والإنكليز. اليوم التاريخ يُكتب على صفحات الفيسبوك وتويتر، ولم يعد ممكناً أن تنطلي حيلة التوثيق مقابل (500) ليرة سورية التي قادها يوماً ما أحد المؤرخين لتاريخ الرقة، ليكتب تأريخاً لا يمتّ للحقيقة بصلة؛ فقط لأنه كان يأخذ (إكرامية) من الشيخ الفلاني أو الرفيق فلان. في عصرنا الحالي باتت هناك شبكاتٌ ضخمة تعمل على التوثيق بشكلٍ يومي، ولا مجال للتحريف او التشكيك أو التلاعب، لذا فلا مجال اليوم للتباكي أو التهرب من المسؤولية الملقاة على عاتق أبناء هذا البلد. مرّت الرقة بتجربة لو قيّض لها النجاح لأصبحت نموذجاً يحتذى به في باقي المناطق الخارجة عن سيطرة النظام، إلا أننا نعيب زماننا والعيب فينا.

فشل المحررون في إدارة مناطقهم في مرحلة ما، والفشل لم يكن عيباً في يومٍ من الأيام، ولكن استمراء الفشل وتبريره وإلقاء التهم على الآخرين هو ما يجب علينا تركه، والتوجّه نحو خطاب ديمقراطي تحرري يهدف إلى استعادة أبناء الرقة لمدينتهم المغتصبة. قد ينجح أبناء الرقة مستقبلاً في استلام زمام الأمور مرة أخرى في مدينتهم، ولكنهم قطعاً لن ينجحوا في إدارتها على الشكل الأمثل ما لم يواجهوا أخطاء الماضي، ويعملوا على تجاوزها انطلاقاً من أنّ هذا البلد هو للجميع وليس لفصيلٍ بمفرده، وإلا فإنهم سيعيدون تكرار بيت ابن زريق البغدادي مرّاتٍ ومرات.

ممثلون وكومبارس

طارق عبد الغفور

تشهد ساحة الأزمة السورية في هذه الأيام زخماً من الأحداث التي تشير إلى منعطف يأخذها إلى ما يجعل التنبؤ بمآلاته، وإن لم يكن صعباً لكنه لا يبعث على التفاؤل.

ما أسفرت عنه اجتماعات آستانا من اتفاق ثلاثي روسي تركي وإيراني حول ما سُمّي بمناطق تخفيف التوتر أو تخفيف التصعيد أو المناطق الخالية من الاشتباكات كما التسمية التي اعتمدها الطرف التركي وما حدث في تلك الاجتماعات من «زعل» الفصائل الاستعراضي ثم رضاها يدعم اللاتفاؤل.

من المفترض أن تكون آستانا مكان اجتماع النظام والمعارضة لبحث ترتيبات عسكرية الطابع تتعامل مع وقف إطلاق النار أو تثبيته لخلق أجواء هدوء مناسبة تساعد على تقدم المباحثات السياسية الطابع التي يخوضها النظام والمعارضة في جنيف، أي أن النظام والمعارضة هما الطرفان المفاوضان، فما بال الدول التي يُفترض أنها تضمن ما يتفقان عليه هي التي تتفاوض وتتفق وتوقع؟؟

لقد أجاب عن تساؤلٍ كهذا السيد خالد المحاميد عضو وفد الائتلاف المفاوض إلى جنيف في مقابلة مع إحدى الفضائيات عندما كشف «المكشوف» بقوله: إن الدول الداعمة لنا هي التي تملي علينا مواقفنا، وأعرب عن عدم توقعه أيّ شيء إيجابي من جنيف القادم، وأنه لا خير في آستانا، وأنهم إنما يذهبون إلى هناك وإلى هناك ليعرّوا النظام ويكشفوا للعالم أنه لا يريد حلاً سلمياً للأزمة السورية، وأنه لو كان يريد ذلك لفاوضناه في دمشق.

مثل هذه التصريحات تساهم مساهمةً فعّالة في رفع ضغط القارئ أو السامع، إذ متى كان النظام يُعير أهمية لتعريته أمام العالم وهو الذي يفعل ما يفعله والعالم يُشاهد ويغضّ الطرف بلا خجل، وإذن فلا حاجة لجهود السيد المحاميد ولا المؤتلفين معه.

ومهلاً، فهل تشي عبارة «لفاوضناه في دمشق» بعلاقةٍ ما بين انتخاب السيد رياض سيف رئيساً للائتلاف في الدورة الحالية، وهو الذي قد أعلن قبل فترة وجيزة عن مبادرة لحلّ الأزمة السورية لا تستثني الأسد في المرحلة التي سمّاها ما قبل الانتقالية، وبين «الآمال الكبيرة» التي يعلقها المؤتلفون على دورٍ أمريكي مختلف توحي به تصريحات مسؤولين كبار في الإدارة ومنهم ترامب نفسه تصل إلى درجة يعلنون معها أن لا سلام ولا مرحلة انتقالية ولا إعادة إعمار مع بقاء الأسد في السلطة؟؟ وهل تكون مبادرة رياض سيف قد حظيت بالدعم الأمريكي، وأبلغتها الإدارة للسيد لافروف الذي بدا «مقروصاً» في زيارته الأخيرة إلى واشنطن -بدراسة لغة الجسد في مؤتمره الصحفي- لقبولها من موسكو أيضاً، فتصبح في فترة رئاسته للائتلاف هي خارطة الطريق لحلّ الأزمة خاصةً وهو قد ربط نجاح المبادرة بدعم واشنطن وموسكو لها؟؟

يجب القول إننا لسنا ضد مبادرة السيد رياض سيف، بل إننا نميل إليها وإلى أننا نعتقد أنه ما طرحها إلاّ بعد أن ناقشها مع الجهات المعنية، ولا بأس في ذلك، فالجهات المعنية هي التي تملك القدرة على اتخاذ القرار وعلى فرضه وتنفيذه، فهم الممثلون الرئيسيون، والذين يذهبون إلى آستانا وجنيف هم الكومبارس، وبعض هؤلاء لا يمكن إخراج المشهد بدونهم ولكنهم يظلون الكومبارس الذين لا تلتقط الكاميرا صور «زووم» لوجوههم إلاّ أنهم يبقون لزوماً للقطات البانورامية، والمشكلة هنا أن هؤلاء الكومبارس يعتقدون أنهم هم الممثلون الرئيسيون، ولا ندري إن كانوا مقتنعين حقاً بهذا الاعتقاد.

قد تنتهي المبادرة في حال تمّ قبولها من واشنطن وموسكو في جملة ما تنتهي اليه إلى وضع حدٍ للمطالب المرتفعة السقف التي يعتزم بعض الإخوة الأكراد طلبها من واشنطن مثل المنفذ على البحر المتوسط مع ما يعنيه ذلك ثمناً لقتالهم داعش في الرقة ودير الزور كما جاء في صحيفة الغارديان على لسان السيدة هدية يوسف الرئيس «المشارك» لما يُسمّى فدرالية الشمال السوري.

وهنا، فإننا لا نُخفي قلقنا من الموقف الامريكي المؤيد لميليشيات حماية الشعب الكردية، ولا نجد لذلك سبباً إلاّ في المخططات التي رسمها الغرب لصياغة جديدة للمنطقة ويحاول وضعها موضع التنفيذ، إلاّ أننا نعتقد أن النجاح في التنفيذ غير ممكن إذا ما تنبّهت له شعوب المنطقة وساهمت في إفشاله، ولهذا حديث آخر.

خطط طموحة لملتقى الأدباء والكُتّاب السوريين . مكتب أورفا

الحرمل - خاص

يطمح ملتقى الأدباء والكتّاب السوريين لأن يكون مرآة حرة للثقافة السورية، تعكس البنية الجماليّة والروحيّة للمبدع السوريّ وذهنيّته المنفتحة، وتؤكد مكانة الثقافة وأصالتها، ويسعى لإغنائها وتنميتها، وتعزيز دورها في حماية المكوّن الثقافي، كما إنّ هدف الملتقى أن يكون مجالاً حراً يجمع الأدب والفكر والثقافة والإبداع، والمثقفين تحت مظلّة الإخاء، والتعاون والعمل المؤسّسي الخلّاق بروح الفريق.

عام ونصف مضى على تأسيس الملتقى وتأكدت انطلاقته الفعلية بتجاوز عدد أعضائه المنتسبين ألكترونياً 165 كاتباً وأديباً وصحفياً وفناناً. وبافتتاح مكاتب له في كل الأماكن التي يتواجد فيها أعضاء الملتقى لتحقيق أهداف مشروعه الثقافي والأدبي من خلال الفعاليات والأمسيات والأنشطة دون تمويل أو دعم مادي.

وضمن خطة الملتقى الطموحة تم افتتاح مكاتب له في 8 ولايات تركية: (إزمير- مرسين - شانلي أورفا- كركهان - هاتاي - بورصة) وفي مدينتي اعزاز وجرابلس.

ويعمل الملتقى على افتتاح مكاتب له في اسطنبول وأضنة وأنقرة وأنطاكية والريحانية وباقي المدن التركية بالإضافة إلى استكمال المكاتب لبقية المحافظات والمدن في الداخل السوري.

وكانت أولى نشاطات مكتب أورفا بعد تشكيل هيكلية مجلس إدارته أمسية أدبية بالتعاون مع ملتقى الفرات أحياها كل من الأدباء:

أيمن ناصر (قصة) - عبود عثمان (شعر)- لميس الرحبي (شعر)- مهند الدغيم (شعر). تناولت بمجمل الهم السوري في بلاد الاغتراب. وقد حضرها جمهور من المثقفين والأدباء والمهتمين بالشأن الثقافي. وكان حضور الشباب لافتاً ومشجعاً لإقامة أمسيات ونشاطات جديدة.

إلى الرقة العزيزة...

حين زرتُ الرقة أول مرةٍ كنتُ أكبر من طفلةٍ وأصغر من صبية. أذكر فقر المدينة، أذكر قباب الطين حولها، أذكر الأطفال حليقي الرؤوس، لابسي القلابية، حفاة، أنصاف عراة، أذكر شهامة الطفل الذي سقاني اللبن الخضيض، وقال أنه يحب المدرسة، ولكي لا أشكّ في صدقه بدأ ينشد قصيدة لسليمان العيسى. أذكر كيف أفرد يديه، وأغمض عينيه وشهب صوته كمهرٍ صغير. أذكر وجوه النساء، بنات الشمس والكدح، قشبَ خدودهن، أصابعهنّ المتشققة في رصف الشوارع، وتلييس الطين وإعمار البيوت...

أذكر الفرات الذي حسبته بحراً ولم أكن قد رأيت البحر بعد. بعيدا عن النهر ارض الرقة يباب، وحول النهر تعود عروساً تُرقّص خلاخيلها الخضراء على ضفتيه. أذكر العنفة المعطّلة على السدّ.

لم أر شجراً كثيراً لكنني سمعت صوت الطيور في حديقة الرشيد.

أذكر العواميد الشاهقة حول سور الرصافة القديم. أذكر المتحف الفقير وكسرات الفخار. أذكر رقصات فرقة الرقة للفنون الشعبية. أذكر صمت مضيفينا وأدبهم وكرمهم وهم يفردون صدر الغرفة البائسة لنا ويجلسون قرب الباب كي لا نستحي على مائدتهم العامرة بثرود البامية ولحم الضان.

لم أحظ برؤية الكبير عبد السلام العجيلي. كان مريضا ليتني كنتُ أكثر وعياً لأفكر بزيارته في بيته. لكن صديقاً من أبنائها أهداني كل ما كان لديه للعجيلي من كتب. أذكر الأحاديث الطويلة مع صديقي هذا وكثيرين من شبابها وصباياها، لم تختلف آلامنا ولا رؤانا، ولا أظنهم تغيروا إلا كما تغيرنا، ولا حلموا بأقل مما حلمنا.

كل ما فيها يشبه السويداء، لكنها أكثر من السويداء فقراً، وأكثر منها كرَماً.

أذكر أن شطراً من قلبي ما يزال هناك في تلك الأرض التي أحبها كما أحب جبلنا وساحلنا وسهلنا. شطر قلبي هذا تسقط عليه اليوم براميل الموت التي تسقط على صدور أهلي في الرقة...

نجاة عبد الصمد

مجلة الحرمل: ثقافية ــ سياسية ــ نصف شهرية ــ مستقلة

رئيس مجلس الإدارة: بسام البليبل – رئيس التحرير: ماجد رشيد العويد – مدير التحرير: يوسف دعيس

ALHARMAL : 15 günde bir Siyasi ve Kültürel Gazete

SAYI: 61 YIL: 3 (2017)

İMTİYAZ SAHİBİ: ŞÜKRÜ KIRBOĞA - EDİTÖR: MAJED RASHEED ALOWAYYED

BASKI: İMAJ OFSET.Sırrın Mah.647 sok.no:33 MOB: 00905393102133

FB.com/AlharmalJournal Twitter.com/AlharmalJournal Alharmal.journal@gmail.com Muzaffer kartal bahçelievler- hekŞmler apt no.3 ŞanliUrfa